مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (31) العدد (2)2009
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (31) No. (2) 2009

مفهوم المكان وعلاقته بعناصر السرد القصصي في ضوء النقد العربي المعاصر

الدكتور عيد محمود *
فيروز عباس**

(تاريخ الإيداع 26 / 4 / 2009. قبل للنشر في 16 / 6 / 2009)

□ الملخّص □

حظي المكان باهتمام الفلاسفة والنقاد قديماً وحديثاً ، وتعدّدت المجالات التي درسته، وحاولت تقديم تعريفات له ، وتحديد مفهومه .

ويجـدُ الباحث في مفهوم المكان في النقد الحديث تـنوّع مفهوماته عند النقاد ، فهي خاضعة لرؤاهم النقدية على اختلاف توجهاتهم ، لكنها لا تختلف على أهميتـه في إدراك جماليات القصة ، بوصفـه عنصراً مهماً من عناصر السـرد القصصي، وهذا ما جعل هذه الدراسة تبحث في علاقته مع عناصر السـرد القصصي الأخرى للوصول إلى مفهومٍ واضحٍ للمكان من خلال دراسة مجموعة من الآراء النقدية العربية المعاصرة ، وتحليلها ، ومحاولة فهم مضامينها ، ومناقشتها ، وكشف أبعادها ، ودلالاتها .

الكلمات المفتاحية : المكان ، النقد ، المعاصر ، القصة ، السرد .

* أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تسرين – اللاذقية – سورية.
** طالبة دراسات عليا (دكتوراه) – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (31) العدد (2)2009
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (31) No. (2) 2009

The Concept of Place and its Relation to Elements of Narrative in light of Contemporary Arabic Criticism

Dr. Ied Mahmoud *
Fairuz Abbas **

(Received 26 / 4 / 2009. Accepted 16 / 6 / 2009)

□ ABSTRACT □

Place has captured the interest of philosophers and critics past and present. Many fields have studied it and tried to define it and specify its connotation. In modern criticism, the researcher finds various connotations in the concept of place in the writings of critics. According to their different interests, these connotations are subject to their critical visions. Nevertheless, they agree on its importance in recognizing the aesthetics of the story, since it is described as one of the important elements of the narrative. So this study deals with its relation to other elements of the narrative in order to get a clear picture of place. This is revealed by studying some contemporary Arabic critical opinions and analyzing them, attempting to understand and expose their contents and implications.

Keywords: place, criticism, contemporary, story, narrative

*Associate Professor, Arabic Department, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.
**Postgraduate Student, Arabic Department, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.

مقدمة:

يشـــغل المكان حيزاً كبيراً من الدراســـات النقدية المعاصرة ، وقد حظي باهتمام دارسي الرواية ، والقصة والشـــعر ، فراحت الدراسات تبحث في فضاءاته ، وجمالياته ، ورموزه ، ودلالاته ، وتقنيات تشكيله ، وأساليب توظيفه فنّياً لخدمة الرؤيا المقدّمة نصياً ، هذا ما دفعنا إلى البحث في مفهوم المكان لغةً ، واصطلاحاً، وعلاقتـــه بعناصر السرد القصصي الأخرى (الشخصية ، الحدث ، الزمان ، اللغة)، بوصف القصة فناً أدبياً يهتم بالمكان ويحتفي به ، فالشـــخصيات تتحرك ضمن أماكن ، والأحداث تقع في أماكن، وهذا مهم في فن القصة إذ تتكامل التجربة بتواشج عناصرها وتفاعلها المثمرين .

أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية هذا البحث في أنه يعرض للعديد من القراءات النقدية التي اهتمت بدراســـة المكان ، وعلاقتـــه بعناصر الســـرد القصصي ، في محاولة جادة لتحديد مفهوم دقيقٍ وواضحٍ في الوقت نفســـه للمكان ، وعلاقته بعناصر السرد القصصي ، وإدراك أهمية تكامل هذه العناصر فيما بينها ، وتشكلها في المكان، ومشـــاركتها في تشكيله أيضاً ، وانصهار العناصر جميعها – بما فيها المكان – في سيرورة النص الأدبي الروائي والقصصي .

منهجية البحث:

يتخذ البحث المنهج التحليلي الدلالي أســـاســـاً له إذ يتـــقصّى آراء عدد من النقاد ، ويحللها ، ويناقشـــها بموضوعية بغية الوصول إلى مفهوم واضح للمكان في السرد القصصي ، وكشف أبعاده الجمالية .

مفهوم المكان لغةً واصطلاحاً :

1 – المكان لغـــةً : تشـــــير الدلالات المعجمية لكلمة (مكان) إلى الموضع ، وهي صيغـــة اســـم مكان على وزن (مَفْعل) ، وقد وردت في المعاجم العربيـــة في الجذرين اللغويـــن (كَوَنَ) و (مَكَنَ) ، و تُصاغ منهما كلمة (مكان) للدلالة على محل الكون ، والحدوث ، والحيز ، والخلاء ، وجمع مكان أماكن ، وأمكنة[1] .

وقد ورد في لسان العرب أنّ المكان هو:((موضع الشيء ، أي المحل الذي يحلُّ فيه ويتموضع ، والفضاء الذي يحيط به))[2]. ويذكـــر ابن فارس أن أصل المكان (كَوَنَ) ، يقول :((الكاف والواو والنون أصلٌ يدلُّ عـــلى الإخبار عند حدوث شـــيء إمّا في زمان ماضٍ وإما في زمان راهن . يقولون : كان الشـــيء ، يكون كوناً،

[1] ينظر : ابن منظور . *لسان العرب* ، المجلد الثالث عشر (بيروت : دار صادر ، من دون رقم الطبعة ، من دون تاريخ) مادة (كَوَنَ) ، ومادة (مَكَنَ) .

وينظر أيضاً :– الفيروز آبادي . *القاموس المحيط*، الجزء الرابع: دار الجيل، من دون رقم الطبعة، 1952) مادة (كَوَنَ) ، ومادة (مَكَنَ).

[2] المصدر السابق نفسه ، مادة (كَوَنَ) .

إذا وقع وحضر [. . .] ، وقال قوم : المكان اشـــتقاقه من كان يكون فلمَّا كَثُر تُوهِّمت الميم أصليةً))[3]، وقد ذكر أحمد رضا في معجمه أن جمع مكان أمكنة ومُكُن ، وأن أماكن هي جمع الجمع[4] ، أما في اللغـــة الفرنســـية (**Spatui**) ، واللفظـــان قريبـــان من (**Space**)وفي الإنكليزية تقابل (**Espace**) فتقـــابل كلمة مكان اللفظ اللاتينيـــة التي تعني في الأصل الامتداد اللامحدود ، الذي يحوي الامتدادات الجزئية كلها ، وقد أراد الفلاســـفة العرب القدماء أن تصبح كلمة (مكان) في العربية مقابلاً لها [5] .

وفي القرآن الكريم يرتبط فعل الكون بالخلق والوجود ، ونجد هذا واضحاً في قوله تعالى : ((**إِنَّما أَمْرُهُ إذا أرادَ شَيئاً أَنْ يقولَ لَهُ كُنْ فيكونُ**))[6] .

وقد وردت كلمة (مكان) في القرآن الكريم في سياقات عديدة منها : مكان البيت ، و مكان سحيق[7]، ومكان قريب[8]، ومكان شرقيّ ، ومكان قصيّ ، ومكان عليّ ، ومكان سويّ ، ومكان ضيّق[9] .

وواضحٌ أن الدلالات الســـابقة تشير إلى الموضع وسماته ، كما أن في القرآن الكريم إشارات واضحة إلى عملية الخلق وارتباط المكان بها ، فقد جاء فيه قوله تعالى :((**إنَّ ربَّكمُ اللهُ الذي خَلَقَ السَّـــماواتِ والأرضَ في ســـتَّةِ أيامٍ ، ثمَّ استوَى على العرشِ يُغْشِي اللّيلَ النهارَ يطلبُهُ حَثيثاً والشـــمسَ والقمرَ والنجومَ مُسَخَّراتٍ بأمرهِ ألا له الخلقُ والأمرُ تباركَ اللهُ ربُّ العالمين**))[10] .

ومن هنا ، نلحظ علاقة المكان بالزمان ، فقد بدأ الخلق بإيجاد مكان متشكّل في زمان، والله سبحانه(يمكّن) الكائنات في الأرض ، أي يجعل لها أماكن تستقرُّ فيها وتتحرك.

وفي الكتاب المقدّس نجد هذه العلاقة بين الخلق والمكان ، أو ربما نســـتطيع القول : بين حدوث الخلـــق ، وموضع حدوثه ، فقد جاء في ســـفر التكوين : ((**في البدء خلق الله السماوات والأرض ، وكانت الأرض خربةً وخالية وعلى وجه القمر ظلمة ، وروح الله يرفُّ على وجه الحياة ، وقال الله ليكن نورٌ ، فكان نور ، رأى الله النور أنه حسن ، وفصل الله بين النور والظلمة ، ودعا الله النور نهاراً ، والظلمة دعاها ليلاً**))[11] .

وهكـــذا ، نجد أن دلالة المكان على التموضع ، ووجود المخلوقات في مكان دائماً سواء أكان هذا الوجود ثابت المكان أم متغيره . وعليه ، فإن الأحداث لا تقع إلا ضمن مكان .

---

[3] أحمد زكريا ابن فارس . *مقاييس اللغة* ، الجزء الخامس ، تحقيق عبد الســـلام هارون (دمشـــق : اتحاد الكتاب العرب ، من دون رقم الطبعة ، 2002) مادة (كَوَنَ)

[4] *أحمد رضا . متن اللغة* ، المجلد الخامس (بيروت : دار مكتبة الحياة ، من دون رقم الطبعة ، 1960) مادة (كَوَنَ) .

[5] أكرم اليوسف . *الفضاء المسرحي « دراسة سيميائية »* (دمشق : دار مشرق – مغرب ، الطبعة الأولى، 1994م، 28 .

[6] سورة يس ، الآية (82) .

[7] ينظر : سورة الحج ، الآية (26) ، والآية (31) .

[8] ينظر : سورة سبأ ، الآية (51) .

[9] ينظر : ســـورة مريم ، الآية (16) ، والآية (22) ، والآية (57) ، وســـورة طه ، الآية (58)، وسورة الفرقان ، الآية (13) .

[10] سورة الأعراف ، الآية (54) .

[11] الأصحاح الأول ، الآية (6) .

2 – المكان اصطلاحاً :

تعدّدت المجالات العلمية ، والأدبية التي درســت المكان ، منها : الرياضيات ، والفيزياء ، والجغرافيا، والفلسفة ، والنقد الأدبي[12] ، وقد حظي المكان باهتمام الفلاســفة ، والنقاد قديماً ، وحديثاً ، فقد قدّم الفلاســفة تعريفات عديدة للمكان ، فهو عند أفلاطون ((الحاوي للموجودات المتكاثرة ، ومحلّ التغيير والحركة في العالم المحسوس))[13] . ويتابع أرسطو ما ذهب إليه أفلاطون فيعرِّف المكان بأنه : ((الحاوي الأول ، وهو ليــس جزءاً من الشيء ، لأنه مساوٍ للشيء المحوي ، [. . .] وهناك المكان الخاص [. . .] والمكان المشترك))[14]. إذن ، فالمكان مدركٌ حسي عندهما ، ويحتوي الأشياء ، ولا انفصال بينه ، وبين الشيء الذي يحتويه .

ويقترب تعريف ابن سينا للمكان من التعريفين السابقين ، إذ يذهب إلى أنه السطح الباطن من الجرم الســماوي للسطح الظاهر من الجسم المحوي [15] .

وكان من أبرز المهتمين بالمكان من النقاد العرب القدماء عبد القاهر الجرجاني، فقد اقترح ثلاثة تعريفــات له ، هي : المكان المبهم ، والمكان المعين ، والمكان المحصور[16] ؛ والمكان المبهم عنده ((عبارة عن مكان له اسم نسميه به بسبب أمر غير داخل في مسماه كالخلف والأمام ، المكان المعين هو عبارة عن مكان له اسم سُمِّي به بسبب أمر داخل في مسماه كالدار، فإن تســميته بسبب الحائط والســقف وغيرهما ، وكلها داخلة في مســماه . والمكان المحصور وهو السطح الباطن في الجسم الحاوي المماس السطح الظاهر من الجسم المحوي))[17] .

وقد وجد الجرجاني أن المتكلمين عرّفوا المكان بأنه :((الفراغ المتوهَّم الذي يشغله الجسم وتنفذ فيه أبعاده))[18]. وواضــحٌ أن الجرجاني بحث في مفهوم المكان ، ودلالاته ، وتوصل إلى تحديد أنواع له ، ونجد أن تقســيمات الجرجاني للمكان مهمة ، إلا أن النقد الحديث ، على الرغم من اهتمامه بمعنى المكان الكلاسيكي ، قد تجاوز هذه التقســيمات وصولاً إلى حقول معنوية جديــدة منها : المكان الفني ، المكان النفســي ، المكان المطلق ، المكان الرياضي ، وما إلى ذلك ، وهذا ما يدفعنا إلى البحث في مفهوم المكان في النقد الحديث .

على الرغم من أن الاهتمام بالمكان قديم إلا أن الدراسات المتخصصة بالبحث في مفهوماته حديثــة ، بدأت مع تأليف (غاســتون باشلار) كتاب (جماليات المكان) سنة 1957م ، فحتى الســبعينيات من القرن الماضي دُرِس المكان من وجهة نظر جانبية ، فقد عُدَّ إطاراً ، أو خلفيةً لأحداث ، لها أبعادٌ رمزيةٌ محدّدةٌ . فاتسمت تلك الدراساتُ بالشمولية . وقد تداركت النظريات السردية الحديثة في مطلع السبعينيات هذه الثغرة ، فاهتمت بالمكان بوصفه عنصراً سردياً مهماً لا يقوم النص السردي بمعزل عنه ، واهتم الســرديون بتحليل تشــكيلات المكان ،

---

[12] ينظر : صلاح صالح . *قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر* (القــاهرة : دار شــرقيات ، الطبعة الأولى ، 1997) 42 .

[13] نقلاً عن :علي عبد المعطي محمد . *قضايا الفلسفة العامة ومباحثها* (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الثانية ، 1984) 124 .

[14] نقلاً عن : عبد الرحمن بدوي . *موسوعة الفلسفة* ، الجزء الثاني (بيروت : المؤسسة العربية للدراســات والنشر ، الطبعة الأولى ، 1984) 491 .

[15] ينظر : حســن مجيد العبيدي . *نظرية المكان في فلسفة ابن سينا* (بغداد : دار الشــؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والإعلام ، الطبعة الأولى ، 1987) 33 وما بعدها .

[16] عبد القاهر الجرجاني . التعريفات 203 .

[17] المصدر السابق نفسه ، 205 .

[18] المصدر السابق نفسه ، 203 .

وبطرائق توظيفه، ودلالاته، وعلاقاته بعناصر السرد الأخرى (الشخصية ، الحدث ، الزمان ، اللغة بتمظهراتها المتعددة : السرد – الوصف – الحوار بقسميه الخارجي والداخلي) ، كما اهتمت الشعرية بتحديد المكان ، وعدّته موضوعاً مستقلاً للبحث بوصفه حامل فكرٍ ، كما يحمل مسوّغات وجوده في ذاته بوصفه مكوناً رئيساً في النص الأدبي ، فضلاً عن إحالته على أماكن مرجعية محسوسة ، فأصبح المكان مبحثاً أساسياً في النقد الأدبي . وقد بدأ الخطاب النقدي العربي يتجه نحو دراسة المكان في الثمانينيات من القرن الماضي بعد أن ترجم (غالب هلسا) كتاب (جماليات المكان) لباشلار .

ويجـدُ الباحث في مفهوم المكان في النقـد الحديث تنوع مفهومات المكان عند النقاد ، فمنهم من ربط بين المكان والكينونة ، ومنهم من ذهب إلى فلسـفة مفهوم المكان . وبهذا ، برزت مفهومات متعددة خاضعة لرؤى النقـاد على اختلاف توجهاتهـم . وعليه ، فـقد ظهرت مصطلحات عديدة كجماليات المكان ، والمكان الفني ، والمكان الثقافي وغيرها .

إن دراسـة المكان تحيل الباحث على الواقع ، فهـو المعطى الموضوعي الذي يعكـس الواقع ، إذ إن له مكونات موضوعية محسـوسة منها : وجوده الطبيعي ، المناخ ، برودة الجو وحرارته . . . ، وهذه المكونات تحرك حياة المجتمع الإنسـاني ، وتشـكّله ، ولا وجود للإنسـان ، والكائنات الحية خارج المكان ، فالكون كله مكان ، وأصغر ذرة في الكون مكان ، والمكان يجمع المسـافات كلها من أصغرها إلى أكبرها ، على الرغم من اختلافهـا حجماً ، ومسـاحةً ، وهو يحتوي الإنسـان منذ ولادته ، وحتى رحيله عن الحياة ، إذ يدفن في مكان وترحل روحه وفق الأديان السـماوية كلها إلى مكان (الجنة أو النار) ، وحتى الذين لا يعتقدون بوجود الجنة والنار يذهبون إلى أن الإنسـان في فنائه يتحول إلى شيء ما في مكان ما . والمكان يحتوي الإنسـان بطبيعته ، وتشكّله ، وهذا محسوس . وهنا ، لا بدَّ من الإشـارة إلى العلاقة الجدلية بين المكان والإنسـان ، لأن الإنسـان على الرغـم من وجوده في المكان يحتوي المكان بوعيه وإدراكه له، وجسـد الإنسـان مكان يكمن فيه عقلـه وفكره ، وقلبه ، وعواطفه ، ونفسه ، والإنسان ((مكان لحلول الزمن ، ومكان لعبوره أيضاً ، [. . .] وهو مكان للوعي ، يختزل عبر الوعي الأمكنة كلها ابتداءً من الأمكنة الصغرى والكبرى المألوفة وانتهـاء بالمكان المطلق "الكون "))[19] .

يتجلى المكان من خلال الحركة ، وفعل الإنسان فهو ((يتخذ دلالته التاريخية، والسياسية ، والاجتماعية من خلال الأفعال وتشابك العلاقات، ويتخذ قيمته الحقيقية من خلال علاقته بالشخصية العامة وهو ظاهرة فيها سمات عامة)) [20] ، إلا أن هـذا – فيما نجد– لا يعني أن المكان لا يملك خصوصية ، فـقد تكون للمكان خصوصية تاريخية، أو ثقافية، أو دينية، فضلاً عن الخصوصية التي تربط الإنسان بالمكان ، كارتباط الفرد ببيته أو بوطنه، أو بمكان له دلالةعلى حدث معين مهم في حياته،وقد تتغير هذه الدلالة حسب تغير الأحداث، والمواقف والزمان.

و((المكان ذو خاصية تاريخيـة ، أي عرضة للصيرورة والتحـوّل ، لأنه في العصر الحديث انتقل من شـكله الأحادي إلى المستوى التعددي (البوليفوني) . إذ إن الإنسان المعاصر يعيش أمكنة عدة في الوقت ذاته ، فما إن يضغط على زر التلفـاز ، الانترنت ، المذياع حتى تتـدفق الأمكنة إلى غرفنا التي تتحـوّل إلى مسـكن

[19] صلاح صالح . *قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر* ، 12 .

[20] محسن محمد البارودي . *الرواية العربية الحديثة* (اللاذقية : دار الحوار ، الطبعة الأولى) 232 .

للعالم الأرضي في ظل الثورة المعلوماتية المتقـدمة))[21]، من هنـا ، قربت المخترعات العلمية الحديثة الأماكن من الإنسان ، وأتاحت له العيـش معها في مكان واحد، أو أكثر، ثابتٍ أو متغير .

مما تقـدّم ، نجد أن المكان يرتبط جذرياً بفعل كينونة الإنسـان ، وعيشه ، ووجوده ، ويساعده في فهم الحقائق وصياغة المشـروع الإنسـاني [22] ، والإنسان ((يحوّل معطيات الواقع المحسـوس ، وينظمها ، لا من خلال توظيفها المادي لسـد حاجاته المعيشـية فـقط ، بل من خلال إعطائها دلالة وقيمة . وتكتسـب عناصر العالم المحسوس دلالتها من خلال إدخالها في نظام اللغـة ، فاللغـة هي المقابل اللامحسوس لعالم المحسوسات وهي مخزون مجرد من العلاقات ينوب عن عالم الواقع ويحلّ محله))[23] .

وهنا ، نصل إلى علاقة المكان باللغة ، والسرد ، بوصف اللغة أداة الكتابة والتعبير ، فقد اهتمت دراسـات النقد الأدبي الحديث بالمكان وجمالياته ، ودلالاته وفضاءاته ورموزه ، وارتبطت دراسة المكان في السرد النثري بعناصر القصة " الشخصية ، الحدث ، الزمان ، اللغة ". وإذا توقفنا فيما تقدّم ذكره عند بعض المؤشرات الدالة على ارتباط المكان بالشخصية ، والحدث ، والزمان ، واللغة ، فإننا سنبحث في علاقة المكان بهذه العناصر فنيّاً عبر السرد القصصي ، وذلك بوصف المكان عنصراً فنيّاً يتعدّى كونه إطاراً للحدث إلى عنصرٍ فنّي بنائي يجمع العناصر السردية الأخرى، ويتفاعل معها. أما عن فضاءات النص، وفضاءات المكان، فإننا نشير إلى أننا نفصل بين المكان والفضاء من حيث المفهوم على الرغم من العلاقة المتواشجة بينهما على خلاف بعض الباحثين الذين رأوا أن المكان هو الفضاء . وقد تفاوت الباحثون في فهم المكان إلى درجة الخلط بين المكان والفضاء، والمكان والحيّز ، على الرغم من انتباه القدماء إلى الفرق بين المفهومين كابن سينا ، وابن رشد [24] .

ومن أبرز النقاد – في العصر الحديث – الذين خلطوا بين مفهومي المكان والفضاء حميد لحمداني ، وقد قسّـم الفضاء إلى أربعة أشكال هي :

1 – الفضاء الجغرافي : وهو مقـابل لمفهوم المكان ، إذ إنه الفضاء الذي تتحرك فيه الشـخصيات الروائيـة والقصصية ، أو يفترض أنها تتحرك فيه .

2 – فضاء النص : وهو فضاء مكاني أيضاً ، لكنه متعلق بالمكان الذي تشغله الكتابة على مسـاحة الورق .

3 – الفضاء الدلالي : ويشـير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي ودلالاتها ، وأبعادها المجازية .

4 – الفضاء كمنظور : ويشـير إلى وجهة النظر التي يهيمن الراوي على عالمه الحكائي من خلالها .

وبيّن لحمداني أن المفهومين الأخيرين لهما علاقة بمباحث أخرى ، واتخذ تسمية الفضاء دون الدلالة على مساحة مكانية محدّدة على خلاف المفهومين الأولين اللذين يعـدّهما مبحثين حقيقيـين في فضاء الحكي ، ثم يوضح أنه يمكن إرجاع المبحث الثالث (الفضاء الدلالي) إلى موضوع الصورة في الحكي ، والمبحث الرابع إلى موضوع

---

[21] خالد حسين حسين . *شعرية المكان في الرواية الجديدة " الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً "* (كتاب الرياض، العدد (83) ، أكتوبر 2000) 66 .

[22] ينظر : ياسين النصير . *إشكالية المكان في النص الأدبي* (بغداد : دار الشـؤون الثقافية العامة ، الطبعة الأولى ، 1986) 396 .

[23] يوري لوتمان . *مشـكلة المكان الفني* ، ترجمة : سـيزا قاسـم دراز، ضمن كتاب جماليـات المكان ، مجموعة مؤلفين (لبنان – الدار البيضاء : دار قرطبة ، الطبعة الأولى ، 1988) 64 .

[24] للإطلاع ينظر : عبد الرحيم مراشـدة . *الفضاء الروائي " الرواية في الأردن نموذجاً "* (عمان : وزارة الثقافة ، الطبعة الأولى ، 2002) 15 ، وما بعدها .

زاوية النظر عند الراوي[25]. وبهذا ، فإننا نجد أن هذا الناقد بتقسيمه الفضاء إلى أربعة أشكال خلط بين مفهومي المكان ، والفضاء ، فعلى الرغم من هذا التقسيم لم نخرج بمفهوم واضح للفضاء ، إنما تداخل مع المكان فلم يحدّد ماهية الفضاء الذي تتحرك فيه الشخصيات، وفصل بين فضاء النص، والفضاء الدلالي، ويبدو لنا أن فضاء النص ليس المكان الذي تشغله الكتابة على مساحة الورق ، إنما هو الصورة التي تخلقها الكتابة الفنية فتتبعث من خلالها الأبعاد الجمالية ، وتتفتق البؤر الدلالية ضمن الرؤيا التي يقدّمها الكاتب في نصوصه ، ومن هنا ، يكون للمكان فضاءات دلالية مجازية ، ورمزية ، وقد تكون مباشرة في سياقها ، تقدّم في صورة فنيّة ضمن فضاء الرؤيا . وهنا ، نتفق مع حسن بحراوي في فهمه للمكان بأنه : ((شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها [. . .] فالمكان يكون منظماً بنفس الدّقة التي نظمت بها العناصر الأخرى في الرواية لذلك فهو يؤثر فيها ويقوّي من نفوذها ، كما يعبّر عن مقاصد المؤلف))[26] .

ونجد أن هذا المفهوم ينسحب على القصة والأجناس الأدبية الأخرى ، كما نجد أن المكان ، وفق هذا المفهوم فضلاً عن تعبيره عن مقاصد الكاتب فإنه – بانسجامه مع عناصر النص الفني الأخرى – يقدِّم رؤياه الكونية .

ويذهب حميد لحمداني أيضاً إلى أن الفضاء يحتوي المكان ، وهو الكل الذي يشمل الأماكن ، يقول :

((الفضاء أشمل ، وأوسع من معنى المكان . والمكان بهذا المعنى هو مكوّن الفضاء [. . .] والمكان يمكن أن يكون فقط متعلقاً بمجال جزئي من مجالات الفضاء))[27] ، ويتفق معه في هذا المفهوم سعيد يقطين ، إذ يبيّن أن المكان يوحي إلى ((البعد الجغرافي ، أو الحيز المحدود))[28] ، أما الفضاء فإنه ((يسمح بالبحث في فضاءات تتعدّى المحدود والمجسَّد إلى معانقة التخييلي والذهني ومختلف الصور التي تتسع مقولة الفضاء))[29] .

أما عبد الملك مرتاض فإنه يبيّن أن الفضاء يجب أن يكون معناه جارياً في الخواء والفراغ في العمل الروائي والقصصي ، أما المكان فيريد به الحيز الجغرافي وحده [30]، والحيز عنده أكبر من الجغرافيا مساحةً ،

---

[25] *ينظر : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي* (بيروت– الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، الطبعة الثانية ، 1993) 62.
– وقد أضاف الناقد محمد عزام إلى الأشكال السابقة الفضاء الروائي ، ((وهو يتكون من التقاء فضاء الألفاظ بفضاء الرموز الطباعية وهو المظهر التخييلي أو الحكائي ، ويرتبط بزمان القصة ، وبالحدث الروائي وبالشخصيات التخييلية)) . *شعرية الخطاب السردي* (دمشق : اتحاد الكتاب العرب ، الطبعة الأولى ، 2005)72 .
– وينظر: حسن بحراوي . *بنية الشكل الروائي " الفضاء – الزمن – الشخصية "* (بيروت – الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى ، 1990) 27 .

[26] حسن بحراوي . *بنية الشكل الروائي " الفضاء – الزمن – الشخصية "* (بيروت – الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى ، 1990) ، 32 .

[27] *بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي* ، 63 .

[28] قال الراوي (بيروت– الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى، 1997) 240.

[29] قال الراوي (بيروت– الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى، 1997) 240.

[30] ينظر : *في نظرية الرواية "بحث في تقنيات السرد "* (الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون : (سلسلة عالم المعرفة 240) ، 1998) ، 141 .

فهو امتداد ، ارتفاع ، وانخفاض ، وانطلاق نحو المجهول ، وعوالم لا حدود لها [31]، ويرى أن السـرد لا تتـمُّ له هذه المواضعة من دون حيّز ، وأنه لا يمكن تصور وجود أدب خارج علاقته مع الحيّز [32].

وبهذا ، نصل إلى علاقة المكان بعناصر السرد القصصي الأخرى (الشـخصية ، الحدث ، الزمان ، اللغة).

1 – المكان والشخصية :

يؤثّر المكان في الشـخصية تأثيراً كبيراً ، إذ يسهم في تشـكيل ملامحها الجسـدية ، وصفاتها النفسـية ، و((تأخذ الأماكن دور المرايا العاكسـة للكوامن النفسية ، وصراعاتها الداخلية إزاء الأحداث))[33] ، فسـلوك الشـخصية ، ومزاجها ((يصل إلى المتلقي من خلال الجزئيات المادية للمكان))[34]، والوظيفة التي يقـوم بها المكان في حياة الشخصية تحدّد علاقتها به، فقد تكون هذه العلاقة حميمية ، وقد تكون عدائية ؛ قد يتطابق المكان مع الشـخصية التي تشغله فيحس بها ، ويتحوّل إلى جزء منها ، وتتحوّل إلى جزء منه ؛ وقد تشـكّل الشخصية مكانها ، وأماكن أخرى تطابقها ، وتخالفها ، تنسجم معها ، وتتمرّد عليها ؛ وقد يكون المكان معادلاً موضوعيـاً لحلم الشخصية ، أو رمزاً للظلم والقهر؛ قد يكون ملاذاً يحمل معاني الخلاص ، والطهر ، والبراءة ؛ وقد يكون سـجناً ، وبؤرة من الفساد ، والموت ، والخراب ؛ وقد تعاني الشـخصية من ازدواجية في علاقتها مع المكان فتتخـذ تجاه مكان ما موقفين متناقضين في الوقت نفسه . وبما أنّ السّرد هو فنّ التشخيص ، ويقوم على التقاط الشخصية ، فقد انصبَّ اهتمام دارسي السرد على الشـخصية ، بوصفها أساس السرد ، وجوهره . وهنا ، تبرز أهمية المكان الذي تعيـش فيه الشخصية ، إذ يشـكّل بعدها الاجتماعي ، والثقافي ، والاقتصادي ، والنفسـي، فالشـخصية التي تعيش في الصحراء تتصف بصفات لا تتميز بها الشـخصية التي تعيـش في الجبال، أو في المدينـة ، إذ يؤثر المكان في البنية الجسـدية وتكوين مزاج الإنسـان ، ففي الأماكن التي تكون الحرارة فيهـا مرتفعة ، والرطوبة عالية ، والغبار كثيفاً يصاب الإنسان بالخمول [35] .

وبهذا، فإن للمكان سلطة على الشخصية ، تتفاوت هذه السلطة تبعاً للعلاقة التي تربط الشـخصية بالمكان ، وتتـداخل العلاقة بينهما فكلّ واحد منهما يؤثر في الآخر . كما تتـنوّع علاقة الشـخصية بأماكنها ، فبعضهـا إيجابي دافىء يمنحها الأمان ، والفرح ، وبعضها الآخر سلبي عدائي يسبّب لها الألم ، أو الخوف ، فالبيت مثلاً مكان رئيسٌ ، ومحوري للإنسان ، فهو بيت الطفولة ، ومكان الألفة ، ومركز تكييف الخيال ، وممارسـة أحلام اليقظة [36]، ومن زاوية ثانية ، قد يكون البيت القديم رمزاً للطفولة المعذبة ، والفقر ، والماضي الأليم .

---

[31] المرجع السابق نفسه ، 144 .

[32] المرجع السابق نفسه ، 154 .

[33] محمد مصطفى علي حسانين . *استعادة المكان " دراسة في آليات السرد والتأويل رواية السـفينة لجبرا ابراهيم جبرا نموذجاً "* (الإمارات العربية المتحدة ، حكومة الشـارقة : دائرة الثقافـة والإعلام ، الطبعة الأولى ، 2004) 26.

[34] محمد مصطفى علي حسانين . *استعادة المكان " دراسة في آليات السرد والتأويل رواية السـفينة لجبرا ابراهيم جبرا نموذجاً "* (الإمارات العربية المتحدة ، حكومة الشـارقة : دائرة الثقافـة والإعلام ، الطبعة الأولى ، 2004) 26.

[35] محمد شوابكة ." *دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمن منيف* ". *مجلة أبحاث اليرموك إربد*، مج (9) ، العدد (2). (1991) : 18 .

[36] ينظر : غاستون باشلار. *جماليات المكان*، ترجمة : غالب هلسا (بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، الطبعة الثالثة ، 1987) 9 – 10 .

وعليه ، فإننا لا نستطيع دائماً إيجاد رموز مكانية ذات دلالة ثابتة ، أو ذات طابع واحد . والشخصية تتنامى في المكان الذي تشغله، وتتحرك فيه، كما تضفي عليه أبعاداً جمالية في تحركها وتناميها. من هنا ، تكون العلاقة حميمية بين المكان والشخصية في التشكيل الفني في سياق السرد ، وهذه العلاقة مهمة في السرد القصصي، ((فهناك وجود تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي تعيش فيه، أو البيئة التي تحيط بها، بحيث يصبح بإمكان بنية الفضاء الروائي أن تكشف عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية ، بل وقد تساهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليها))[37] . فصراعُ معظم الشخصيات مع (المجتمع / الآخر) يبدو صراعاً مع المكان من حيث هو مواقع وأشياء حسية ، وأشكال وكيانات ، وأحجام [38] ، والحركة الإنسانية هي مجموعة من العلاقات الاجتماعية المتشابكة ضمن المجتمع ، وهذه الحركة تتأثر بالمكان وتؤثر فيه ، وهذا يؤكد عمق العلاقة بين المكان والشخصية . والشخصية هي ((القوة المولّدة للأحداث تؤثر فيها وتتأثر بها [. . .] وهي شبكة علاقات تمتد [. . .] لترتبط الأشياء ببعضها البعض))[39].

وهناك من حدد أنواعاً للعلاقة بين المكان والشخصية في دراساته التطبيقية فقسّمها إلى :

1 – علاقة الاندماج والتداخل والانتماء .

2 – علاقة الحياد .

3 – علاقة عدائية [40].

سبق أن أشرنا إلى هذه العلاقات ، وفيما يخصّ علاقة الحياد ، فإن المكان ((مهما بدا محايداً يثير قدراً من المشاعر في نفس المتعامل معه ، ليكتسب منذ رؤيته بعداً نفسياً ، يختلف من مكان لآخر ، ويختلف انعكاس المكان الواحد من شخص لآخر))[41]. وهو ، بهذا التأثير في الذات الإنسانية ، يساعد في صياغة إنسانية الإنسان . هذه بعض الإضاءات لعلاقة الشخصية مع المكان .

2 – المكان والحدث :

يرتبط المكان بالحدث ارتباطاً وثيقاً ، فلا أحداث دون مكان ، ولا يقدّم السرد النثري الروائي والقصصي مكاناً دون أحداث ، والحدث الذي تقوم به الشخصية هو الذي يعطي المكان دلالته، وقد يكون المكان بطلاً تنتمي إليه الشخصيات ، وقد يتحول إلى الموضوع الرئيس للأحداث والشخصيات ، وتتبلور صورة المكان من خلال حركة الشخصيات ، ووقوع الأحداث في الحياة ضمن سياقها [42].

يربط المكان أجزاء النص السردي ببعضها بعضاً ، إذ يسهم في صياغة الشخصية ، والأحداث ، وتشكيلها، وهو موضع الأحداث، ومسرحها .

---

[37] حسن بحراوي . *بنية الشكل الروائي " الفضاء ، الزمن ، الشخصية "* 30 .

[38] ينظر : بدري عثمان . *بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ* (بيروت : دار الحداثة، الطبعة الأولى ، 1986) 94 .

[39] مصطفى الكيلاني . *الأدب الحديث والمعاصر وإشكالية الرواية* (تونس :المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، الطبعة الأولى ، 1990) 131 .

[40] محمد شوابكة . *دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمن منيف* ، *مجلة أبحاث اليرموك* ، 72 .

[41] صلاح صالح . *قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر* ، 55 .

[42] ينظر : صبري حافظ . *" الحداثة والتجسيد المكاني ". مجلة فصول* ، مصر، مج (2)، العدد (4) ، (1984) 72 .

إذن ، العلاقة بين المكان ، والحدث ، والشخصية مترابطة ، فالحدث يشكل التفاعل بين الشخصيات ، والأماكن ، وهو يتحدّد بالمكان الذي يشكّله ، وينظمه وفق هيئته ، فكلمة المكان تستحضر معها كلمة حدث في العالم القصصي ، و((الوصف المكثّف لمكان ما ، والمبالغة فيه تدل على استحواذه على حدث ما ، أو قيامه بالتحكّم بمسرح الأحداث ، وقيادتها إلى نهايتها))[43].

وهنا ، قد تسرد الأحداث من زاوية تاريخية لتقدّم بعض القضايا التي يريد الكاتب إيصالها إلى المتلقي لما يراه فيها من أهمية ، وقد تصوّر الأحداث وضعاً اجتماعياً [44]، وقد تكون مؤسطرة خاصة بمكان أسطوري يريد الكاتب إسقاطه على الواقع ، وقد تكون متخيلة لتعبر عن عالم مأزوم ، أو عن حلم بعالمٍ بديل ، وقد تتعارض الأحداث فيما بينها ، وتتشكّلُ أحداثٌ جديدةٌ في تعارضها مع أحداث أخرى ، فمكان الحدث ، أو الأحداث ، والأماكن التي تفصل بينها ، والأزمنة التي تقع ضمنها ويمكن أن تُدرس وفق منهج يوري لوتمان (الثنائيات الضدية المكانية) من خلالها (ضيق/واسع – شرق/غرب – . . .) . وهذه الثنائيات تقدّم تنوعات مكانية تؤسس لبناء قصصي يمثّل الحياة بتنوعاتها .

وهكذا ، فإن السرد يرسم الشخصيات ، ويقدّم أفعالها على اختلافها ، ضمن صور مكانية بقصد تقديم الرؤيا عبر مشروع سردي نثري ، وهذا يؤكد تواشج العلاقة بين المكان ، والشخصية ، والحدث ، وهذه العناصر السردية ترتبط بالزمان ارتباطاً وثيقاً ، فلا مكان دون زمان ، والشخصيات تعيش في زمان، وهي تتحرك ضمنه ، والأحداث تقع فيه ، فإذا سلمنا أنه لا شخصية ، ولا حدث من دون مكان ، فمن الطبيعي أن نسلّم أنه لا شخصية ، ولا حدث من دون زمان يحتضنهما حتى إن كان خيالياً ، أو أسطورياً .

3 – المكان والزمان :

العلاقة بين المكان والزمان وثيقة فهما عنصران مهمان من عناصر السرد القصصي، إذ إن الأحداث التي تقع في الأماكن تجري ضمن أزمنة ، والشخصيات التي تتحرك في أماكن الأحداث تتحرك ضمن أزمنة أيضاً، حتى إن المكان خاضع في متغيراته للزمان ، فالزمان يعمل في الشخصيات ، والأماكن، ويؤثر في تكوين ملامح الشخصيات والأماكن سواء أكانت هذه الملامح فنية أم واقعية، وكذلك فإن المكان يشير إلى زمان الأحداث، فذكر مكانٍ ماضٍ في عمل فني يدلنا على عمقه التاريخي ، ويضعنا في جو العصر الذي تجري فيه الأحداث .

وهكذا ، فإن المكان ((يكتسب كينونته من الزمان الذي يُدبُّ فيه الحركةَ ، والزمان يكتسب زمنيته من المكان والحركة التي في داخله))[45]. فالمكان ((يمثّل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية ، أما الزمن فيتمثّل في هذه الأحداث نفسها وتطورها، وإذا كان الزمن يمثّل الخط الذي تسير عليه الأحداث فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه [. . .] حيث أن الزمن يرتبط بالإدراك النفسي أما المكان فيرتبط بالإدراك الحسي وقد يسقط

---

[43] محمد مصطفى علي حسانين . *استعادة المكان " دراسة في آليات السرد والتأويل في رواية السفينة لجبرا إبراهيم جبرا أنموذجاً "* ، 24 .

[44] ينظر : فهد حسين . *المكان في الرواية البحرينية* ، " دراسة في ثلاث روايات الجذوة – الحصار – أغنية الماء والنار " (مملكة البحرين: فراديس ، الطبعة الأولى ، 2003) 41 – 42 .

[45] شاكر النابلسي . *مدار الصحراء " دراسة في أدب عبد الرحمن منيف "* (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ، 1991) 234 .

الإدراك النفسي على الأشياء المحسوسة لتوضيحها والتعبير عنها))[46].وتجربة الإنسان مع المكان تختلف عنها مع الزمان، و((إذا كان المكان يرتبط في ذهن البشر بالفراغ ، فإن الزمان يجسّد الحركة والنشاط الدائبين))[47].

وكي نستطيع دراسة الزمان في ديمومته لا بد من صبغه بطابع المكان [48]، والعنصر الأساس فيه هو التزامن ، الذي يصبغ العنصر الزماني بالطابع المكاني [49]، أي إن الكمية الزمنية التي يختزنها المكان تعني المسافة التي مرَّ بها المكان في مسيرة انتقاله من مرحلة إلى مرحلة ، وهذه المسافة في الزمان هي نفسها التي اجتازها المكان [50] . وتؤكد النظرية النسبية بأنه لا انفصال بين المكان والزمان، وقد دحضت مفهوم(الزمكان المطلق) الذي وضعه نيوتن ، وظهر مفهوم (الزمكان النسبي) ، فلا الزمان ولا المكان ، حسب هذه النظرية ، يمكن أن ينفصلا ، وأن يستقلا عن الأشياء ، والأحداث ، والظواهر ، أي عن الحركة ، والمادة [51].

فالزمان ، والمكان ليسا مستقلين عن بعضهما بعضاً ، لأن العلاقات المكانية ، والزمانية مشتقة من التفاعلات المادية بين الظواهر ، والأحداث الفيزيائية [52].

وقد ظهر الزمكان ، بوصفه مصطلحاً معبّراً عن تداخل الزمان والمكان ، وتأثير كل منهما في الآخر، فما ((يحدث في الزمكان الفني الأدبي هو انصهار علاقات المكان والزمان ، في كل واحد مدَرك ومشخّص ، الزمان هنا يتكثّف ، يتراص ، يصبح شيئاً فنيّاً مرئياً ، والمكان أيضاً يتكثّف، يندمج في حركة الزمن والموضوع بوصفه حدثاً أو جملة أحداث والتاريخ علاقات الزمان تتكشف في المكان ، والمكان يُدرَك ويقاس بالزمان، هذا التقاطع بين الأنساق والامتزاج بين العلاقات هما اللذان يميزان الزمكان الفني))[53].

إذا كان السرد القصصي يخضع لمقاييس مثل الإيقاع ، ودرجة السرعة، فإن المساحة التي تقع فيها الأحداث والتي تفصل الشخصيات بعضها عن بعض لها دور أساس في تشكيل النص القصصي[54]، فالسرد يقدم الزمان، والمكان في منظومة فنيّة .

تأسيساً على ما سبق ، فإن اتساق العلاقة بين الزمان ، والمكان في السياق السردي يخدم الرؤية الفنية المقدّمة نصياً عبر سيرورة لغوية تصور الأماكن ، والشخصيات ، والأحداث ، والأزمنة ، وتبيّن كيفية تموضعها

---

[46] سيزا قاسم . *بناء الرواية " دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ "* 102 .

[47] ب.س. ديفيز . *المفهوم الحديث للمكان والزمان* ، ترجمة : د.السيد عطا (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الأولى، 1996) 11 .

[48] ينظر : ميشيل بوتور . *بحوث في الرواية الجديدة* ، ترجمة : فريد أنطونيوس (بيروت : منشورات عويدات ، الطبعة الثالثة ، 1986) 103 .

[49] ينظر : أرنولد هاوزر . *الفن والمجتمع عبر التاريخ* ، الجزء الثاني ، ترجمة : د.فؤاد زكريا (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الثانية ، 1981) 486 .

[50] ينظر : صلاح صالح . *قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر* ، 115.

[51] ينظر :خالد حسين حسين. *شعرية المكان في الرواية الجديدة " الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً "*، 68,67.

[52] مجموعة من المؤلفين . *المعجم الفلسفي المختصر* ، ترجمة : توفيق سلوم ،(موسكو: دار التقدّم ، الطبعة الأولى، 1986) 475 ، وينظر : خالد حسين حسين . *شعرية المكان في الرواية الجديدة " الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً "* 68- 69.

[53] ميخائيل باختين . *أشكال الزمان والمكان في الرواية* ، ترجمة : يوسف حلاق ،(دمشق : منشورات وزارة الثقافة ، الطبعة الأولى ، 1990) 6 .

[54] ينظر : سيزا قاسم . *بناء الرواية " دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ "* 99 .

على الورق ، وهذا يدفعنا إلى البحث في علاقة اللغة بعناصر السرد القصصي الأخرى من خلال دراسة علاقتها بالمكان .

4 – المكان واللغة :

اللغة هي أداة تشكيل القصة والسرد القصصي بعناصره كلها ، ولا وجود للمكان القصصي خارج اللغة لذلك فالعلاقة قائمة وثابتة بين المكان ، بوصفه عنصراً سردياً ، وباقي عناصر السرد القصصي .من هنا، ندرك أهمية الوصف – بوصفه أحد أشكال اللغة – في رسم المكان وتحديد أبعاده ، فمعرفة المكان تحتاج إلى منظومة معرفية أداتها الرئيسة اللغة، بوصفها وسيلة للتعبير والفهم والكتابة، وبها يسيطر الراوي على مكانه ، فيسميه، ويصفه ، ويحدّده ، ويحمّله بالدلالات الرمزية ، والمعاني ، فهو لا يقدّم مكانه كما يقدّمه الجغرافي ، إنما هو مكان فني متخيل له وجود في خيال الراوي ، ويحيله إلى واقع عبر اللغة ، وربما يكون مكاناً واقعياً مطبوعاً في ذاكرة الراوي ، إلا أنه في السياق اللغوي ينحرف دلالياً ليخدم الرؤية التي يقدّمها الراوي ، فالمكان في السرد القصصي منزاح دلالياً عن المكان الموجود في الواقع ، ترسمه لغة الراوي، وتحدّده، وتعيّن له أبعاده، ودلالاته. واللغة الأدبية هي لغة انزياحية تُستخدم محمَّلة بالرموز ، والدلالات ، وهي أداة الراوي الرئيسة في بنائه الفني ، فتتحول عنده من مفردات ، وألفاظ إلى نسيج سردي يحكي قصة فيها شخصيات ، وأحداث ، وزمان، ومكان . وتعدُّ اللغة ((نظاماً دلالياً وجمالياً أيضاً ، قادراً على استحضار كل الموصوفات والمذكورات في الذهن فيرتسم الحيز ، وتتحدّ معالمه ، وتتكون حدوده ، وتشكّل جغرافيته الأدبيّة التي تتصف ، وذلك على نقيض الجغرافية المكانية))[55] ، وهي تجعل من المكان دالاً لغوياً يحمل مدلولات مختلفة ، إذ تقدّم نسقاً تصورياً للمكان ، فتتقاطع التصورات عن المكان فيما بينها لتقدم رؤية واحدة نحو أماكن العالم القصصي .

وقد تتعدّد اللهجات ، أو اللغات في القصة الواحدة بتعدّد الشخصيات ، ووفقاً لمستوياتها الفكرية ، والثقافية والاجتماعية ، والاقتصادية ، فكل شخصية ، أو مجموعة لها لغتها الخاصة بها .

وقد يسرد الراوي آراءها أو يجعلها تتحاور فيما بينها ، ويجب ألا تبتعد لغة الحوار عن لغة السرد في العمل القصصي، فهما معاً تقدّمان الرؤية الفنية التي يريدها القاص، والقاص يحول عالمه المعيشي إلى مكان تعيشه شخصياته على الورق معتمداً اللغة بأساليب الانزياح والتحويل ، وهو، بهذا ، لا يعكس العالم على ورقه ، إنما يمثّله فنياً ، والمكان الفني له قوانينه المنزاحة عن القوانين التي تحكم المكان الواقعي ، وهذا المكان يصاغ وفق آليات تنتج عن التشابك ، والتفاعل بين المستويين السطحي المحسوس، والعميق ، والمستوى السطحي هو((التنظيم النحوي للجملة))[56]، أما العميق فهو((تنظيم الجملة على مستوى أكثر تجريداً))[57]، والمكان الفني هو صور ومظاهر تشكّلها اللغة، ولا تفسّر إلا بها فقط . و ((لغة العلاقات المكانية وسيلة من الوسائل الرئيسة لوصف الواقع [. . .] ، فقد تكتسب الأنساق المكانية الخاصة التي يبدعها نص بعينه ، أو مجموعة من النصوص دلالةً من خلال وضعها في إطار أبنية صور العالم))[58] ، ويذهب لوتمان إلى

---

[55] عبد الملك مرتاض . *في نظرية الرواية " بحث في تقنيات السرد "* ، 158 .

[56] يوسف غازي . *مدخل إلى الألسنية* (دمشق : منشورات العالم العربي الجامعية، الطبعة الأولى، 1985) 301 .

[57] يوسف غازي . *مدخل إلى الألسنية* (دمشق : منشورات العالم العربي الجامعية، الطبعة الأولى، 1985) 301 .

[58] يوري لوتمان . *مشكلة المكان الفني* ، ترجمة : سيزا قاسم دراز ، 70 .

أن كل صورة تكوّن نسقاً أيديولوجياً متكاملاً يتعلق بنمط معين من الثقافات فـ ((المكان الذي يعيش فيه البشر مكان ثقافي ، أي أن الإنسان يحوّل معطيات الواقع المحسوس وينظمها [. . .] وتكتسب عناصر العالم المحسوس دلالتها من خلال إدخالها في نظام اللغة ، فاللغة مخزون [. . .] ينوب عن عالم الواقع ويحلُّ محلّه))[59].

وفضلاً عمّا تقدّم ذكره ، فإن اللغة قادرة على استيحاء الأشياء المرئية ، وغير المرئية، مثل الصوت ، والرائحة. وبهذا ، فإن التصوير اللغوي هو إيحاء لا نهائي يتجاوز الصور المرئية ، لذلك يجب أن ننظر إلى الصور المكانية لا على أنها تشكيل لأقسام المكان فقط ، إنما على أنها ((تشكيل يجمع مظاهر المحسوسات من أصوات وروائح وألوان وأشكال وظلال وملموسات))[60] . وعليه ، فإن اللغة لم تعمل على تمثيل العلاقة مع المكان فقط ، إنما عملت على توسيع أبعادها ، وتعميقها ، وبذلك انتقلت الفاعلية الذهنية من المحسوس إلى التجريد، وأتاح هذا للإنسان أن ينسج أماكن غائبة ميتافيزيقية متعالية عن الحس ويصفها ويتحدث عنها [61]، والمكان في السرد الروائي والقصصي هو مكان لفظي متخيّل ، تصنعته لغة الراوي استجابةً لأغراض التخييل القصصي ، وحاجاته ، وهذا يعني أن أدبية المكان ترتبط بإمكانات اللغة على التعبير عن المشاعر والتصورات المكانية . واللغة تخلق المكان الفني ، وتؤطره ، وتقدّم مواقف الشخصيات التي يحتويها المكان ، وتعبر عن مشاعرها، ولا ينهض المكان إلا بوجود شخصيات تسكن فيه ، وتجعل منه إطاراً لأفعالها (أحداثها) التي تجري في الزمان ، فمن خلال اللغة تتكشّف علاقة المكان بالحالات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية ، والإنسانية التي تكون عليها الشخصية ، وكل ذلك يقدّم عبر اللغة التي تحمل دلالات توضيحيّة إشارية حيناً ، ورمزية موحية حيناً آخر ، فلا بناء مستقل عن كيفية تشكيل المكان ، وتنظيمه ، ولا أحداث ، أو شخصيات ، أو أزمنة من دون مكان ، فالأحداث تقع في مكان محدّد ، أو متخيّل ، والشخصيات تخترق المكان تشكلّه ، ويشكلّها ، ويسير الخط الزمني للسرد مع المسار المكاني المحدّد أو غير المحدّد . وعليه، فالتأثير متبادل بين المكان ، وباقي عناصر السرد القصصي ، إذ تتداخل العناصر السردية مع بعضها بعضاً لتكون وحدةً عضويةً ، فكل عنصر يُظهر العنصر الآخر ، ويسوّغ وجوده ، ويساعد في تشكيله ، ولا بدَّ من دراسة المكان ، بوصفه مجموعة من الرؤى ، والعلاقات المترابطة مع عناصر السرد القصصي الأخرى ، فالعلاقة متكاملة بين المكان ، والزمان ، والشخصية ، والحدث ، واللغة ، وهذا يظهر أهمية العلاقة بين عناصر السرد القصصي ، ويؤكّد تواشجها ، وتكاملها ، ودور هذا التكامل في تقديم موقف القاص ، ورؤيته الفنية .

الاستنتاجات والتوصيات:

بعد هذا السعي إلى تحديد مفهوم المكان وعلاقته بعناصر السرد الروائي والقصصي الأخرى في ضوء النقد المعاصر ، ندرك أهمية ارتباط بناء السرد القصصي بالمكان والعلاقة الوثيقة بينهما .

---

[59] المرجع السابق نفسه ، 64 .

[60] سيزا قاسم . *بناء الرواية " دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ "* 107 .

[61] ينظر:خالد حسين حسين . *شعرية المكان في الرواية الجديدة " الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً "* 70 .

تأســيســاً على ما سبق نســتطيع القول :

حــاول البحث أن يتقصّى مفهوم المكان ، وقد اهتم البحث في علاقــة المكان بعناصر الســـرد القصصي الأخرى ، مستنداً إلى بعض آراء النقاد المعاصرين المهتمين بدراســة جماليات المكان ، وتوضيحها ، ومناقشتها بموضوعية للوصول إلى فهم صحيح للمكان ، ومفهوماته، ووضّح الخلــط القائم بين المكان والفضاء ، والمكان والحيّز ، وتداخل المكان والفضاء ، وتوصّل إلى أن المكان أســبق من الفضاء ، ونقصد أن الفضاء موجود في المكان ، ومهما تعددت الفضاءات فســتبقى محصورة ضمن المكان . وعليه ، فإن الفضاءات النصّية تتحقّق في تصوير الأماكن ، وإســقاطاتها الرمزية ، وإشــعاعاتها الدلالية ، وتواشجها مع عناصر النص الفني الأخرى ، من هنــا ، نســتطيع أن نقول : إن الفضاء هو الصورة التي تخلقها الكتابة الفنية الروائية والقصصية فتبعث من خلالها الأبعاد الجمالية ، وتتفق البؤر الدلاليــة ضمن الرؤيا التي يقدّمها الكاتب في نصوصه .

وعليه ، فإننا نجد أن المكان عنصر مهم من عناصر الســرد القصصي ، وعلاقته بها وثيقة ، فكل عنصر يسهم في تشكيل العنصر الآخر ، ويسوّغ وجوده ، وهذه العلاقة بين العناصر الســردية تمنح النص انســجاماً جمالياً ، وتحقّق وحدته العضوية ، وتفجّر طاقاته الدلالية ، وتقدم موقف الكاتب من العالم ، ورؤاه الكونية .

المراجع:

المصادر :

1 – القرآن الكريم

2 – الكتاب المقدس

3 – ابن فارس ، أحمد زكريا . مقاييس اللغة ، الجزء الخامس ، تحقيق : عبد السلام هارون . دمشق : اتحاد الكتاب العرب ، من دون رقم الطبعة ، 2002م .

4 – الفيروز آبادي . القاموس المحيط ، الجزء الرابع . دار الجيل ، من دون رقم الطبعة ، 1952 م .

5 – ابن منظور . لسان العرب ، المجلد الثالث عشر . بيروت : دار صادر ، من دون رقم الطبعة، من دون تاريخ.

المراجع :

1 – باختين ، ميخائيل . أشكال الزمان والمكان في الرواية ، ترجمة : يوسف حلاق . دمشــق : منشــورات وزارة الثقافة ، الطبعة الأولى ، 1990م .

2 – البارودي ، محسن محمد . الرواية العربية الحديثة ، اللاذقية : دار الحوار ، ، .

3 – باشلار ، غاستون . جماليات المكان ، ترجمة : غالب هلسا . بيروت : المؤســسة الجامعية للدراســات والنشر ، الطبعة الثالثة ، 1987م .

4 – بحراوي ، حسن . بنية الشكل الروائي ((الفضاء – الزمن – الشــخصية)) . بيروت : المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى ، 1990 م .

5 – بدوي ، عبد الرحمن . موسوعة الفلسفة ، الجزء الثاني . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ، 1984 م .

6 – بوتور ، ميشيل . بحوث في الرواية الجديدة ، ترجمة : فريد أنطونيوس . بيروت : منشورات عويدات، الطبعة الثالثة ، 1986م .

7 – حسانين ، محمد مصطفى علي . استعادة المكان ((دراسة في آليات السرد والتأويل في رواية السفينة لجبرا إبراهيم جبرا نموذجاً)) . الإمارات العربية المتحدة ، حكومة الشارقة : دائرة الثقافة والإعلام ، الطبعة الأولى ، 2004 م .

8 – حسين ، خالد حسين . شعرية المكان في الرواية الجديدة ((الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً)). الرياض : كتاب الرياض ، العدد (83) ، اكتوبر 2000 م .

9 – حسين ، فهد . المكان في الرواية البحرينية ((دراسة في ثلاث روايات الجذوة – الحصار – أغنية الماء والنار)) مملكة البحرين : فراديس ، الطبعة الأولى ، 2003م .

10 – ديفيز، ب . س . المفهوم الحديث للمكان والزمان ، ترجمة : د.السيد عطا . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الأولى ، 1996م .

11 – رضا، أحمد . متن اللغة ، المجلد الخامس . بيروت : دار مكتبة الحياة ، من دون رقم الطبعة ، من دون تاريخ .

12 – صالح،صلاح: قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر.القاهرة:دار شرقيات،الطبعة الأولى، 1997م.

13 – العبيدي ، حسن مجيد . نظرية المكان في فلسفة ابن سينا. بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة، الطبعة الأولى، 1987م .

14 – عثمان ، بدري . بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ . بيروت : دار الحداثة ، الطبعة الأولى، 1986م .

15 – عزام ، محمد . شعرية الخطاب السردي . دمشق : اتحاد الكتاب العرب ، الطبعة الأولى ، 2005م.

16 – غازي ، يوسف . مدخل إلى الألسنية . دمشق : منشورات العالم العربي الجامعية ، الطبعة الأولى،1985م .

17 – قاسم ، سيزا . بناء الرواية ((دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)) ، بيروت : دار التنوير ، الطبعة الأولى ، 1985 م .

18 – الكيلاني ، مصطفى. الأدب الحديث والمعاصر وإشكالية الرواية . تونس : المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، الطبعة الأولى ، 1990م .

19 – لحمداني ، حميد . بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي . بيروت – الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، الطبعة الثانية ، 1993 م .

20 – مجموعة مؤلفين . جماليات المكان ، ترجمة : سيزا قاسم دراز . لبنان – الدار البيضاء : دار قرطبة ، الطبعة الأولى ، 1988 م .

21 – مجموعة من المؤلفين . المعجم الفلسفي المختصر ، ترجمة : توفيق سلوم . موسكو : دار التقدّم ، الطبعة الأولى، 1986 م .

22 – محمد ، علي عبد المعطي . قضايا الفلسفة العامة ومباحثها . الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الثانية، 1984م .

23 – مراشـــدة ، عبد الرحيم . الفضاء الروائي ((الرواية في الأردن نموذجاً)) . عمان : وزارة الثقافـــة، الطبعة الأولى، 2002م .

24 – مرتاض ، عبد الملك . في نظرية الرواية ((في تقنيات الســـرد)) . الكويت : المجلـــس الوطني للثقافة والآداب والفنون ، (سلسلة عالم المعرفة 240) ، 1998 م .

25 – النابلسي ، شاكر . مدار الصحراء ((دراسة في أدب عبد الرحمن منيف)) . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى، 1991م .

26 – النصير ، ياسين . إشكالية المكان في النص الأدبي . بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، الطبعة الأولى، 1986م .

27 – هاوزر ، أرنولد . الفن والمجتمع عبـــر التاريخ ، الجزء الثـــاني ، ترجمـــة : د.فؤاد زكريا . بيروت : المؤســـســـة العربية للدراســـات والنشر ، الطبعة الثانية ، 1981م .

28 – يقطين ، سعيد . قال الراوي . بيروت– الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 1997م.

29 – اليوسف ، أكرم . الفضاء المســـرحي « دراسة ســـيميائية » . دمشـــق : دار مشرق – مغرب ، الطبعة الأولى ، 1994م .

المقالات :

1 – حافظ ، صبري :" الحداثة والتجسيد المكاني " . مجلة فصول ، مصر ، مج (2) ، العدد (4) .(1984م).

2 – شـــوابكة ، محمد . " دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمن منيف ". جملة أبحاث اليرموك ، إربد ، مج (9) ، العدد (2) ، (1991م).